

Artical History

Received/ Geliş
12.06.2019

Accepted/ Kabul
22.07.2019

Available Online/yayınlanma
01.08.2019.

**Asepects of innovation in recentArabic poetry:the case of
Youcef Elkhal**

مظاهر التجديد في الشعر العربي يوسف الخال أنموذجا

الباحثة نجلاء العيفة (طالبة دكتوراه)

جامعة العربي التبسي-تبسة ،الجزائر

Larbi Tebessi University-Tebessa ,Algeria

الملخص

تعود باكورة التجديد في الشعر العربي إلى منتصف القرن 19م ،حيث آمن الشاعر العربي بأن
اللاقاعدة هي القاعدة ،فرسم معالم جديدة كسر بها البنية النمطية للقصيد القديمة ،سواء من ناحية
الشكل أو المضمون ،وبناء على ذلك ارتأينا أن نختار شاعرا من شعراء الحداثة للوقوف عند مظاهر
التجديد عنده سواء من الجانب النظيري أو التطبيقي ،فوقع اختيارنا على الشاعر اللبناني "يوسف
الخال" وكان عنوان هذه الورقة البحثية : "مظاهر التجديد في الشعر العربي يوسف الخال أنموذجا" وسيتيم
تركيزنا على البنى الشكلية المشكلة للخطاب الشعري من خلال تحليلات التجديد في اللغة الشعرية، الصورة
الشعرية ،الموسيقى،توظيف الرمز و الأسطورة،معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفاتيح:التجديد، اللغة الشعرية، الصورة الشعرية، الموسيقى، الرمز والأسطورة.

Abstract

The dawning of innovation in Arabic poetry returns to the middle of the 19th century, when Arabic poets were convinced that the no-rule is the unique rules. thus they set new criteria which has broken the monotypic traditional poem structure both in form or in content. in this study we focus on a modernist poet from Lebanon, who is Yousef Elkhal. We will explore the aspects of innovation in his poem. Our study focuses on formal structure of the innovated poetic language, poetic Image, the prosody and the use of symbols and myths. We adopt a descriptive analytical approach.

Key words :innovation, poetic language ,poetic Image prosody ,symbol ,myth.

المدخل:

لم يعد الشعر العربي بأشكاله ومضامينه القديمة قادرا على استيعاب الحياة الجديدة، وهذا ما دفع الشعراء نحو التخطي و التجاوز وبناء رؤية أو بالأحرى رؤيا شعرية جديدة، قوامها الايجاء والرمز، خالية من الاوزان القديمة والموسيقى الخارجية المتعارف عليها، حيث يحل الايقاع الداخلي الذي يتحدد مع كل قصيدة، وتنتقل القصيدة من وحدة البيت الى الوحدة العضوية الى الكل الذي لا يتجزأ شكلا و مضمونا وتنتقل اللغة من لغة الذوق العام الى اللغة الشخصية والتجربة الذاتية.

يعد يوسف الخال من أبرز الشعراء الذين أرسو قواعد وأساليب الشعر الحديث بعدما أسس له من طرف نازك الملائكة وبدر شاعر السياب من العراق، حيث تطورت الرؤيا التأسيسية مع رواد مجلة شعر اللبنانية التي كان يوسف الخال مديرا لها عام 1957 وعمل من خلالها على تشجيع الابداع والابتكار الشعري، و اعطاء فرصة للشعراء يعبرون فيها عن تجربتهم الحياتية.

أولا- دواعي البحث: لم يتم اختيارنا للموضوع عشوائيا بقدر ما دفعتنا اليه أسباب موضوعية تتمثل في معرفة مدى انعكاس الاسس الجديدة التي نظر لها يوسف الخال في شعره .

ثانيا -مشكلة البحث: يوسف الخال كونه من دعاة التجديد في الشعر العربي نحاول من خلال هذا البحث الاجابة عن مجموعة من الاشكاليات من بينها: فيم تجلت مظاهر التجديد في الشعر العربي عموما

وفي شعر يوسف الخال خصوصا؟ كيف تحققت الموسيقى في شعره في ظل غياب الموسيقى الخارجية والبحور الخليلية؟ هل دعوة الخال للتجديد تجلت بشكل كامل في شعره؟

ثالثا- أهمية البحث: يكتسي البحث أهمية كبيرة تكمن في الموضوع نفسه فمازال يشكل مادة بحثية خصبة لما يحمله من اطلاع القارئ على أهمية التجديد الذي يعتبر مؤشرا جماليا غذيت به القصيدة الحديثة واختص البحث بيوسف الخال كون تجربته رائدة في الشعر العربي الحديث.

رابعا- أهداف البحث: الجدير بالذكر أن الهدف الرئيسي لهذا البحث هو الوقوف عند مظاهر التجديد في شعر يوسف الخال، من خلال نماذج شعرية كونه من أبرز الشعراء الذين أرسوا قواعد وأساليب الشعر الحديث من خلال "مجلة شعر".

خامسا -منهج البحث: إن أي بحث علمي لا يصل الى النتائج المنشودة دون اختيار منهج يجيب عن مشكلة البحث لذلك ارتأينا أن نوظف المنهج الوصفي التحليلي للوقوف عند مكامن التجديد في شعر يوسف الخال.

أولا-الشعر العربي الحديث ومراحل تطوره:

كانت حملة نابليون بونابرت على مصر 1798 فاتحة النهضة في مصر بصفة خاصة و العالم العربي بصفة عامة، حيث "كان الفكر الاوروي قد بدأ يتغلغل في الشرق العربي منذ عصر الحملة الفرنسية، وانفتاح مصر على أوروبا، وكذلك بلاد الشام، وخاصة لبنان التي تدفق اليها المبشرون من أوروبا و أمريكا¹" فاتخذت الحملة العلم سلاحا من ضمن أسلحتها ما جعلها تكسر الجمود في مصر وكان لها دور في وصل مصر بالثقافة الاوروبية خاصة الثقافة الادبية.

بعد الثورة الفرنسية أنشأت العديد من المدارس، حيث ظهرت حركة الترجمة وأرسلت البعثات العلمية الى أوروبا، ما أدى الى ظهور انجازات مثمرة على جميع الأصعدة، بالنسبة للإبداع الشعري ظهرت

¹ هدارة، محمد مصطفى (1990):دراسات في الادب العربي الحديث،ط1،دار العلوم العربية،بيروت،لبنان،ص،18.

في البداية حركة الاحياء 1904 مع محمود سامي البارودي وأحمد شوقي حافظ ابراهيم ،جميل صدقي الزهاوي حيث حاولوا احياء الشعر القديم من جديد من خلال "استحياء التراث ومحكاة نماذجه من حيث المعاني و الصور والأخيلة ونحج القصيدة والأسلوب والموسيقى"² لكن هذه الحركة لم تأت بالجديد و بقيت مرتبطة أشد ارتباط بالكلاسيكية في المحافظة على التراث القديم.

جاءت بعد ذلك مدرسة الديوان كردة فعل على هذه الحركة وتضم كل من عباس محمود العقاد و ابراهيم عبد القادر المازني ،عبد الرحمان شكري "وقد دعت مدرسة الديوان الى الاتجاه الى الوجدان وتصوير الخطرات النفسية ، والالتفات الى الطبيعة من خلال عواطف الشاعر و التأمل العميق في الناس والحياة"³ فأصبحت القصيدة بذلك تمزج بين العاطفة والتفكير وتتغنى بالطبيعة.

ثم تأسست جماعة ابولو برئاسة أحمد زكي أبو شادي وكان لخليل مطران دور كبير في الخروج من دائرة التقليد الى الابداع فأصبح الشعر تجربة ذاتية "وبهذا أسهمت اسهاما كبيرا في تجاوز عصر النهضة خاصة و التقليدية الشعرية بعامه ،وفي التمهيد لنشوء بنية جديدة للقصيدة ومفهوم جديد للشعر"⁴ فبدأت الالفاظ تتجه نحو الالقاء ،وحب الطبيعة وبث الالم .

تلت جماعة ابولو جماعة المهجر في أمريكا الشمالية(الرابطة القلمية)، وأمريكا الجنوبية(العصبة الأندلسية) حيث حاول أصحاب الرابطة القلمية "انشاء رابطة توحد جهودهم وتكتل قواهم"⁵ ووضع لها شعارا من طرف جبران خليل جبران " لله كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة الشعراء وأعلنوا رأيهم في الأدب حينما قالوا:(الأدب هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها)"⁶ وحاول أصحاب العصبة الأندلسية في الجنوب تحديث الشعر العربي فاستطاع شعراء المهجر ومن بينهم ميخائيل نعيمة اليا ابي ماضي ،نسيب عريضة ،فوزي المعلوف ،شفيق المعلوف وغيرهم أن يثثوا في شعرهم آهات الاغتراب والبعد والتم الفراق من خلال شكواهم للطبيعة.

² نفسه:ص20،،21.

³ نفسه،ص،28

⁴ اونيس(2002): الثابت والمتحول، بحث في الابداع والاتباع عند العرب ج4 صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري،ط2 ،دار الساقى ،بيروت ،لبنان،ص،107.

⁵ عبد الدايم صابر (1993):أدب المهجر،ط1،،دار المعارف، القاهرة ،ص،18.

⁶ نفسه، ص ،نفسها.

تطورت حركة التجديد، حيث كانت هناك العديد من العوامل الثقافية، ساهمت في ظهور وجوه عراقية بدر شاكر السياب، نازك الملائكة عبد الوهاب البياتي تدعوا الى تحرير القصيدة من نظام الشطرين والتأسيس لما عرف بالشعر الحر .

بعد ذلك جاء دور شعرا جماعة "مجلة شعر" اللبنانية التي حمل لوائها يوسف الخال بعد عودته من الولايات المتحدة بفكرة تجديد الشعر العربي و "توافقت جهود يوسف الخال في هذا الاتجاه مع مجيء عدد من الشعراء السوريين الى لبنان وعلى رأسهم أدونيس الذي سيصبح العمود الاخر الاساسي في الحركة⁷ وسعى شعراء هذه المجلة ومن بينهم يوسف الخال، ادونيس، خليل الحاوي، نذير عظمة... الى بناء وحدة شعرية جديدة تكون فيها تجربة الشاعر ذاتية متميزة، يتخلى فيها عن الموسيقى الخارجية لتحل محلها الموسيقى الداخلية والايقاع الداخلي، ويكون قوام القصيدة الخلق والابتكار .

كل هذه الجهود التي تطورت ساهمت شيئا فشيئا في كسر الجمود و الالتحاق بركب الحداثة، وتحرير الشاعر من القيود الصارمة حيث أصبح بدوره حر ليس مقيد.

ثانيا - مظاهر التجديد في شعر يوسف الخال

يوسف الخال هذا الاسم اللامع الذي برز في خمسينات القرن الماضي ويعتبر من أبرز رموز التجديد والحداثة في الأدب العربي ناقدا و شاعرا، ومنظرا حيث كان له دور كبير في الانعطاف الذي حدث في أدبنا العربي، من خلال دوره الريادي في مجلة "شعر" التي سعى من خلالها و زملائه الى التخلص من القواعد التي كرسها الكلاسيكية، وبناء رؤية أو بالأحرى رؤيا شعرية قوامها التجربة الذاتية .

استطاع هذا الشاعر من خلال نظرية الاختراق و التجاوز أن يتقدم بالشعر الى الامام "فتجاربه في الشعر و الثقافة و الحياة، فضلا عما كان يعتمل بداخله من ارادة قوة شعرية جعلت لنصوصه الموازية وضعية النواة النظرية التأسيسية المنشغلة بهاجس الحداثة في الشعر"⁸ فاستطاع ان يهدم السابق بكل قواعده الصارمة، واعطاء المجال للشاعر الحديث ان يعبر بحرية عن تجربته الذاتية وواقعه الحي، كان المبتغى

⁷خير بك كمال (1968): حركية الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ط2، بيروت، لبنان، ص، 63.

⁸ منصر نبيل (2007): الخطاب الموازي للقصيدة العربية، ط1، دار توبقال، المغرب، ص، 168.

الوحيد عنده النهوض بالشعر العربي حيث يقول: "الذي يهمننا هو النهوض بالشعر العربي... كنا نعتقد أن مفهوم الشعر العربي في الوقت الذي بدأنا به مفهوم متخلف غير مواكب للزمن، أحببنا أن ندخل مفهومًا جديدًا لصناعة الشعر"⁹ وهذا يدل على رفض الجمود والتقليد، والسعي وراء تكوين منجز شعري يتماشى وروح العصر خاليًا من النمطية.

نحاول الامام ولو بشكل وجيز عن مكان من أو مظاهر التجديد والتحديث في الشعر العربي عند هذا الشاعر، ومن خلال أعماله نستطيع الوصول إلى التغييرات التي أحدثتها على مستوى شعره، وابرز النقااص التي تعتريه، وذلك من خلال الوقوف على اللغة الشعرية في شعره، الصورة الشعرية، الموسيقى، إضافة إلى توظيف الرمز والاسطورة.

1- اللغة الشعرية:

إن الشعر يتميز باللغة التي يبث من خلالها الشاعر أحاسيسه و تجاربه في الحياة "فهي قادرة في يد الشاعر الموهوب على بث الحرارة والحياة والاثارة في المؤلف من كلمات الحياة التي تعيش في نفوسنا والتي لا تنبش عنها القبور في معاجم اللغة".¹⁰ فاللغة هنا لغة جديدة حية نابعة من ذات شاعرة مبدعة، تبث من خلال الكلمات تجربة حياتية.

بادر بذلك الشعراء إلى انشاء قاموس لغوي جديد يتوافق ومتطلبات الحياة، وإذا كنا في هذا الموضوع نخص الشاعر يوسف الخال؛ فهو من الشعراء الذين وجدوا في اللغة المتنفس الوحيد لهم، وهذا يعتبر حسب رأيه خطوة نحو اختراق جدار اللغة، حيث دعا إلى تبسيط اللغة الشعرية، والاعتماد على اللغة المحكية ويحضر هذا الكيان اللغوي المحكي في مسرحيته الشعرية "هيروديا".

⁹فاضل جهاد (1984): قضايا الشعر الحديث، ط1، دار الشروق، بيروت، ص، 289.
¹⁰ العشماوي محمد زكي (1994): دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ط1، دار الشروق، ص، 130.

يقول مثلاً:

هيروديا:

فاتركيه!

ما لتاج جدوى مع المعمدان.

واطلي رأسه على طبق غاو

وجودي، فلن يظن زماني

بعده... وارقصي فلن يرقص التاج

على غير مغربي...¹¹

الشاعر يستحضر في هذه المسرحية انجيل ماتا من خلال قصة هيروديا التي قتلت النبي يوحنا المعمدان لأنه وقف في وجهها ووجه زوجها هيروودس، كونها تزوجت منه بعلاقة غير شرعية، وهذا ينم عن اعطائه صورة عن واقعنا، فالإنسان عندما يرى الظلم لا يسكت عنه، حتى وان كانت حياته فداء لذلك، فكان الشكل المحكي للغة يسهل طريقة استيعاب و فهم القارئ من خلال تفكيكه لقصة يوحنا المعمدان.

عند الحديث عن المعجم اللغوي نجد آت من قاموس ديني مسيحي بحث غني بصور الانجيل، وبهذا الطرح تكون القصيدة تخلصت من الشحنات اللغوية القديمة، لتصبح اللغة البديلة والجديدة تتحرك في دائرة التجربة الشخصية ومن هذه المصطلحات نذكر (الصليب، قرابين، الوثن، الثالوث، خطايا، محراب، صلاة، اللجنة، الأذان...) فاللغة ايجائية غنية بالرموز الدينية، بذلك يعطي الشاعر فرصة للقارئ لفك هذه الالفاظ من خلال عمليات القراءة والتأويل.

نستشف من خلال لغة الشاعر ايماناً بيوم البعث وجنة الخلد يقول في ديوانه الحرية:

¹¹ الخال يوسف (1979): الاعمال الكاملة، ط2، دار العودة، بيروت، ص، 134.

وقبلتي الأخرى! اتدري لدى

ينفض ختم السر عن برعمين :

فتفتح الجنة أبوابها

ويجتني آدم تفاحتين!

هناك حيث الدفء يجري شذا

وكوثرنا عذبا على الضفتين

وحيث اهواء الصبا ترمي

وكوثرنا عذبا على الضفتين

وحيث اهواء الصبا ترمي

طمآنة شكر من فطرتين

كأنما الخمرة في ثغرها

يتيمة تسأل عن والدين¹²

تشير الأسطر الشعرية الى جودة التصوير اللغوي الفني والكنائي في طابع ديني بحت ،يوحي الى تطلع الشاعر وحلمه بجنة الخلد، فصور ذلك عن طريق اللغة تصويرا حسيا.

يذهب الشاعر الى أبعد من ذلك في طريقة اللعب اللغوي مثلا في قصيدة "البئر المهجورة" فهذا العنوان يميل الى ثنائية ضدية ،فالبئر هو مصدر للماء و السريان والحركة ؛لكنه هنا ارتبط بالهجران ولا يكون البئر مهجورا الا اذا جف ماؤه ،فانقسمت اللغة المعجمية هنا الى الجمع بين متضادين هما (الحركة-الجمود)أو (الحياة_الموت)

¹² المصدر السابق ،ص،70.

يقول الشاعر:

عرفت ابراهيم جاري العزيز ،من زمان

عرفته بئرا يفيض ماؤها

وسائر البشر

تمر ولا تشرب منها ،ولا لا

ترمي بها حجر

ويطلع النبات في الحجر؟¹³

فالحقل المعجمي في هذه الأسطر الشعرية وغيرها الى اخر القصيدة تنقسم الى حقلين معجمين
(الجمود_الحركة)

الحركة: بئرا ،ماؤها ،نبات، ضياء ، الغدير، أعيش ،الثمر .

الجمود: مهجورة ،أموت ، حصى ، كفن.

نلاحظ أن الحقل المهيم هو حقل الحركة والحياة على غرار حقل الجمود ،وذلك يدل على روح التفاؤل
لدى الشاعر والتصدي والصمود وتجاوز الاغتراب و الهجران.

إذا كانت الكلمات والحروف لغة يعبر بها الشاعر ،فإن الصمت والبياض ايضا أصبح لغة ايجائية
في القصيدة الحديثة وان كانت هذه التجربة الشعرية بداية عند رواد التجديد في التغيير .

يقول :

ونبدأ السفر :

هللويا

¹³المصدر السابق ،ص،203.

هللوييا

وفي هنيهة تغيب عن عيوننا

الجمال و المرافئ الامان ، والمراحع

هللوييا

هللوييا

هللوييا

ونبدأ السفر

وسيرة الرجوع والصراع والظفر.¹⁴

نلاحظ أن هذه الابيات غير متساوية الطول ، فأصبح من الممكن أن يحتوي السطر على كلمة واحدة ، فعدت لغة البياض تعبر عن الحالة الشعورية لدى الشاعر ، وهذا ينم عن الاضافة التي قدمها الشعر العربي الحديث ، حيث بدأت تظهر ثنائية (السواد _ البياض) و أصبح الشاعر العربي يعي حركة التغيير والخروج عن النمط القديم ، ففي هذه الابيات يتكلم الشاعر عن السفر والبعث و في هذا الموضوع لابد من حضور لغة الصمت .

نجد أن اللغة الشعرية الحديثة تغيرت عن اللغة النمطية القديمة ، فأصبحت القصيدة الحديثة مغامرة ذاتية يعبر فيها الشاعر عن تجربة ذات ، وطن ، أمة.

2- الصورة الشعرية:

إن الشاعر الحقيقي هو من يستطيع بث شعره من خلال تصوير حسي لأحاسيسه و خياله بالإيجاءات بعيدا عن الصورة المباشرة المجردة "فالشعر يعتمد على شعور الشاعر بنفسه و بما حوله شعورا يتجاوب هو معه ، فيندفع الى الكشف فنيا عن خبايا النفس أو السكون ، استجابة لهذا الشعور في لغة

¹⁴ المصدر السابق: ص، 235.

هي صورا ايجائية لا صور مباشرة¹⁵ فالشاعر ينقل تجربته في الحياة بواسطة الصورة الياجائية المعبرة حسيا عن حالته الشعورية .

تكمن الصورة الشعرية الجديدة عند الخال في الكلمة الموحية و المعبرة من خلال تجسيد وتشخيص الحسي واعطائه الحياة يقول:

فجرح العليق خده

ورمى الصنوبر بالخضوع

فطاول الريحان قده

وأفاح من سقط النبات شذا

وأي شذا فبعده

خجل البنفسج أن يفرح

وخبأ السريرين فده

وكأنا في التل تخنان

وفي الوادي مودة

يتصافحان وكم شكا الوادي

قبيل اليوم حقدده

وتحرق أنفاسه حسدا

وعاب عليه مجده.¹⁶

¹⁵ هلال محمد غنيمي: دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، نهضة مصر ، القاهرة ،ص60.

¹⁶ الخال يوسف (1979): مصدر سابق، ص،61.

نجد الشاعر في هذه الأسطر يشخص الطبيعة وجعل منها كائنات انسانية، فإذا بالبنفسج ينجل، الوادي يشكو ويحقد، فهذه الأسطر الشعرية تدل على براعة الشاعر في التصوير وحسه الفني .

يرسم الشاعر أيضا العديد من المتناقضات، التي تعبر عن حالته النفسية والشعورية، فصور لنا الأشياء على غير شاكلتها يقول:

أحويك واعلم أن الجمر

يردني، أسحب أنفاسي ودمي

أغرق في وهج¹⁷

جاء هذا النص مقربا للمتضادات، فكيف للجمر أن يبرد، وكيف يغرق في الوهج، فهذه العبارات تكشف عن رؤية الشاعر وأحاسيسه في تلك اللحظة.

تعتبر تجربة الخال موفقة، حيث نلمح محاولة لتخطي الصورة الشعرية القديمة، لتحل محلها صورة جديدة حسية مبنية على الحالة النفسية و الوجدانية للشاعر يرسم من خلالها مشاهد نفسية تخدم حواسه.

3- الموسيقى الجديدة:

تعد الموسيقى من أكثر الظواهر الفنية بروزا في الشعر العربي الجديد حيث استطاع الشعراء الخروج من دائرة الوزن و القافية والبحور الخليلية فأصبح حر غير مقيد .

يكمن المفهوم الجديد للقصيدة في شعر يوسف الخال في أن القصيدة عبارة عن بنية ايقاعية خاصة ترتبط بالحالة الشعورية للشاعر، حيث طور الموسيقى الشعرية فنجدته يستعمل في أغلب قصائده تفعيلة واحدة (مستفعلن) غير ملتزم بعددها في الاسطر مثلا :

مالي اراك تكاد، بعد اليوم،

¹⁷نفسه: ص، 243.

تغرق في الرمال¹⁸

فعدد التفعيلات يختلف من بيت الى آخر وقد يحتوي السطر على تفعيلة واحد فقط وهذه خطوة نحو اختراق القواعد القديمة .

نجد الشاعر يستعمل أيضا التكرار في العديد من المواضع كنوع من الموسيقى يقول مثلا :

ليته ما كان،

ليته ما كان يوما هكذا

ليته ما كان، بل ظل بأحضان الرمال.¹⁹

فالشاعر كان بإمكانه ان يقول الجملة الاخيرة فقط لكنه تعمد ذلك من أجل اعطاء الاسطر الشعرية نغمة موسيقية.

يتمثل شعره في خروج حقيقي من اطار القصيدة القديمة مثلا في الاسطر الشعرية التالية ن وليست الايات جدها تختلف طولاً وقصراً، وكل سطر ينتهي نهاية مريحة ، دون التقيد بنظام ثابت يقول مثلا:

رجلاي في الفضاء و الفضاء هارب ،

وليس لي جناح.

الشمس لا تدفني،

ولا تغطي جسدي الرياح

ليت الذي علقتني هناك شد حول عنقي ،

¹⁸المصدر السابق، ص،81.

¹⁹نفسه: ص،200.

ليته سمري. 20

فهذه الاسطر كما نلاحظ متفاوتة ،غير مقيدة بقافية واحدة أو روي ، وان دل هذا على شيء فانه حقا يعتبر بداية نحو التخطي والتجاوز.

4-توظيف الرمز والاسطورة:

إن توظيف الرمز في الشعر العربي هو نتاج تراكم مجموعة من الافكار في ذهن الشاعر ،فيكشف لنا هذا الاخير عن العديد من الجوانب الفكرية فالرمز "نوع من القناع يغشي هذه الافكار"²¹ حيث يطرح الشاعر من خلال هذا القناع | أسئلة وجودية تتعلق بمصير الانسان من حياة أو موت ومعاناة وغيرهم ، ويتخذ من الرمز اداة للتعبير عما يحتلجه ،فقد أصبح من أهم الأسس التي يركز عليها الشعراء في بناء ابداعهم .

لم يكن الشاعر يوسف الخال الأول في استخدام الرمز ،بل تفوق في ذلك والى حد كبير العديد من الشعراء قبله ،كبدر شاكر السياب و عبد الوهاب البياتي وغيرهم من رواد الحداثة في الشعر ،لكنه سار على نهجهم واتخذ من الرمز وسيلة للتعبير عن أسئلة القلق الوجودي الذي يعتري الانسان .

إن توظيف الرمز في شعره يأخذ الطابع المسيحي ،فخطابه ديني بحت يمثل لنا صورة المسيح الشخص و تجسيده على أنه هو الله الذي مات وبعث يقول :

اذا صلبوك هناك اليهود

فإنك تبعث حيا هنا²²

²⁰ الخال يوسف (1979) :مصدر سابق ، ص،211.

²¹ الجببوسي سلمى الخضرا (2007): عبد الواحد لؤلؤة :الاتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث ،ط2، ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ص،281.

²² الخال يوسف (1979) :مصدر سابق ،ص،198.

يستحضر الشاعر سورة المسيح (عيسى عليه السلام) وصلبه وحادثة قيامه وبعثه من جديد ويعبر من خلالها عن ألمه و عذابه وما لحق به من أذى .

نجد بين ثنايا الابيات حضور قوي لرموز المسيحية :صليب الله ،لحمه خبزاً ،دمه خمراً ،الروح...الخ.

يقول مثلاً :صليب الله مرفوع على رابية الدهر .

ويقول : لتسقط العلية وتهلك ،الريح سيرحمنا

والطارق سيجالسنا ،جائع هو الى الخبز ،وظامئ

الى عتيق الخمر

لعل الطارق الهنا الجديد ،وهذا الريح

أزهار شهية تفتحت في المجهل²³

فيجسد الشاعر رمز وصورة المسيح الذي كان في اعتقادهم يطعمهم لحمه ويشربهم من دمه ،ليكن معهم يد واحدة ،وها هو هنا ينتظر عودته عند الباب وكأنه ينتظر بشغف انتهاء الآلام والاحزان ليحل محلها الفرح والتفاؤل لغد أفضل فيلجأ بذلك لشخصية المسيح ليستمد منها تجربته الشخصية .

يأمل الشاعر دائماً في عودة حياته الى طبيعتها المستقرة فيربط ذلك بالمسيح والرجوع .

يقول : ونبدأ السفر

وسيرة الرجوع و الصراع والظفر²⁴

ويقول : غدا يعود سيدي

شراعه كغيمة بيضاء ،عند الشفق²⁵

²³المصدر السابق :،ص279،280.

²⁴نفسه: ص، 235.

²⁵نفسه ،ص، 236.

فهو يشير الى الفرج وتحول الظلام الى نور وعودة المسيح عيسى (عليه السلام) أي أن الانسان مهما تصادفه المصاعب والظلمات فحتما سيأتي اليوم الذي ينتهي فيه الالم.

على غرار الرموز المسيحية نجد الشاعر يستعين بالرموز التوراتية يقول مثلا:

وإما عضك الجوع فهناك المن والسلوى²⁶

فربط هنا الطعام بطعام موسى (عليه السلام) وقومه وهو المن والسلوى

اضافة الى الرموز الدينية يستحضر الشاعر العديد من الرموز التاريخية ليعبر من خلالها عن المغزى الذي يريد ايصاله يقول مثلا :

أين جنكيز فاتح الشرق والغرب

نذير الهلاك انى اضلا

أين و تيمور ،قاهرا والسلاطين

غزاة والبونابرتي مولى ؟

هكذا يمحي ظلام الليالي

ويفيئ الصباح مهما تولى .²⁷

من خلال هذه الابيات يشير الشاعر الى أنه لا شيء يبقى على حاله مهما طال الزمن ؛فجنكيز أكبر امبراطور ومرتكب مجازر كبيرة ذهب وولى ،وتيمور بنفوذه واستلائه على العديد من المناطق أين هو ؟ كذلك البونابرتي الذي استطاع ان يضرب انقلاب كبير في فرنسا ، فكل هؤلاء ولوا وراحوا ،فمهما طال الظلام برأيه حتما سيحل الصباح .

يوظف الأسطورة أيضا يقول :

²⁶ الخال يوسف (1979) :مصدر سابق ، ص221.

²⁷ نفسه ،ص ، 104.

وعدنا

بريح الشمال هنا يا اوديس

عبر اليف²⁸

يضرب مثالا بأسطورة أوديس الذي تأخر و بقى العديد من السنوات يواجه المخاطر ، لكنه في الاخير عاد ،هكذا يأمل الشاعر أن تعود حياته الى الاستقرار كما عاد أوديس .

يمكننا القول أن توظيف الرمز في شعر يوسف الخال أخذ الطابع الديني المسيحي ،وهكذا يمكن القول أن الرمز أصبح بديلا عن استعمال الصور والتشبيهات ،فرسم الشاعر معالم حياته عن طريق الصورة الموحية و المعبرة من رمز وأسطورة .

النتائج :

*نصل في الأخير الى أن الشاعر اللبناني يوسف الخال استطاع أن يؤسس لنظرية جديدة في الشعر العربي الحديث ،من خلال ريادته لمجلة "شعر" حيث تعتبر تجربته بداية نحو تطوير حقيقي و جوهري للشعر .

*نقل الشاعر اسئلة عن الذات والوجود ،فيعتبر شعره رسالة انسانية تعبر عن ذات ،وطن ،أمة .

*انتقل في شعره من الصورة الجامدة الى التجسيد الحسي والمعنوي باستعمال الكلمة الموحية والمعبرة .

*استعان باستخدام الرموز الدينية حتى غدت الصورة الفنية عنده ذاتية محضنة .

*يمكننا القول أن يوسف الخال المنظر كان الأسبق في التعريف بالحدائث الشعرية ،لكن في الجانب التطبيقي لم يتجاوز شعراء عصره .

التوصيات:

- العمل على دراسة مضامين الشعر العربي الحديث ، كونها تتعلق بالوجود الانساني و الثقافة .
الاطلاع على التجارب الشعرية في شعرنا الحديث لأن هناك أسماء عديدة لم تحظى بالاهتمام.
العمل على تنمية القدرات الابداعية كون الشاعر الان حر غير مقيد.

المصادر و المراجع:

- ادونيس(2002): الثابت والمتحول، بحث في الابداع والاتباع عند العرب ج4 صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري، ط2، دار الساقى، بيروت، لبنان.
- الجيوسي سلمى الخضرا ، لؤلؤة عبد الواحد(2007):الاتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث ، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت .
- الخال يوسف (1979):الاعمال الكاملة ، ط2، دار العودة،بيروت.
- خير بك كمال (1968):حركية الحداثة في الشعر العربي المعاصر ، ط2،،بيروت ،لبنان .
- عبد الدايم صابر (1993):أدب المهجر، ط1،،دار المعارف، القاهرة.
- العشماوي مُجد زكي (1994):دراسات في النقد الأدبي المعاصر ، ط1،،دار الشروق.
- فاضل جهاد (1984):قضايا الشعر الحديث ، ط1،،دار الشروق ،بيروت .
- منصر نبيل (2007) :الخطاب الموازي للقصيدة العربية، ط1،،دار توبقال، المغرب .
- هدارة، مُجد مصطفى (1990):دراسات في الادب العربي الحديث، ط1،،دار العلوم العربية ،بيروت ،لبنان .
- هلال مُجد غنيمي :دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده ،نهضة مصر ، القاهرة.